التصدر الدعوي إشكالياته وضوابطه

دكتور/ عبد العزيز بن عبد الله القرني
أستاذ الدعوة المساعد– قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
جامعة أم القرى

المستخلص:

التصدّر الدعوي.. إشكالاته وضوابطه

تناول هذا البحث موضوع التصدّر الدعوي، وهدف إلى بيان أهميته ومدى حاجة المدعوين إليه، ومناقشة أبرز إشكالاته وعرض ضوابطه. واستخدم الباحث فيه منهج الاستقراء الوصفي والمنهج التحليلي، وتوصل إلى نتائجه والتي كان من أبرزها: أن التصدّر الدعوي يساعد في إيصال الرسالة الدعوية بسلاسة وسهولة، يتمكن من خلاله الدعاة في تقديم بعضهم على بعض في الحاجات أو النوازل الدعوية بحسب التخصص، كما أنه يسهل على المدعو الوصول إلى الداعية المتخصص ليسهم في حل مشكلته أو ليتزود من معرفته. الأهلية ضابط مهم للتصدّر الدعوي، وحتى يكتمل عقد الأهلية للمتصدر في الميدان الدعوي لابد أن ينتظم في ثلاث: العلم والحكمة والخلق الحسن، فهي أركان الأهلية، وبفقدانها جميعا أو بعضها تنعدم الأهلية أو تضعف، والتصدّر الدعوي يستلزم من صاحبه معاهدة النفس والحرص على تزكيتها، ذلك أن الإخلال بضابط التزكية يوقع الداعية المتصدر في محاذير نفسية وأخلاقية عديدة. وأوصى الباحث الجهات والمؤسسات الدعوية الرسمية وغير الرسمية بعقد دورات تأهيلية للتصدر الدعوي وحلقات نقاشية حول واقع التصدّر الدعوي المعاصر.

كلمات مفتاحية: التصدّر – الدعوة – الداعية – إشكالات – ضوابط.

Abstract:

Advocacy leadership.. its problems and controls

This research dealt with the issue of advocacy leadership، and aimed to indicate its importance and the extent of the need of those who are invited to it، and to discuss its most prominent problems and present its controls. The researcher used the descriptive induction method and the analytical approach، and reached its results، the most prominent of which were: that advocacy leadership helps in conveying the advocacy message smoothly and easily، through which preachers are able to give precedence to each other in advocacy needs or emergencies according to specialization، and it also facilitates the supplicant. Access to a specialized preacher to contribute to solving his problem or to gain knowledge. Eligibility is an important criterion for advocacy leadership، and in order for the eligibility contract to be completed for the leader in the advocacy field، it must be organized in three: knowledge، wisdom، and good manners، as they are the pillars of eligibility، and by losing all or some of them، the eligibility is lost or weakened، and advocacy leadership requires from its owner a treaty with the soul and keenness to purify it. Violation of the acclamation test leads to many psychological and ethical warnings for the leading preacher. The researcher recommended the official and unofficial advocacy agencies and institutions to hold qualifying courses for advocacy leadership and panel discussions on the reality of contemporary advocacy leadership.

Keywords: predominance - advocacy - preacher - problems - controls.

المقدمة:

الحمد لله الذي أعلى معالم العلم وأعلامه، وأظهر شعائر الشرع وأحكامه، وبعث رسلاً وأنبياء إلى سبيل الحق هادين، وأخلفهم علماء ودعاة ومحتسبين، وإلى سننهم داعين، حيث رفع الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات، وسلك بهم بفضله ورحمته وكرمه طريق الجنات، وصلى الله على النبي الخاتم عبده ورسوله، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة الأخيار، والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

فالدعوة إلى الله تبارك وتعالى تعد أعظم مهمات رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهي وسيلة وسبيل لتحقيق توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]،وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦]. وهي الميزة التي فضّل الله تعالى بها هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وأمر الله تعالى عباده بها وحثهم عليها فقال: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، لذا كان الداعية إلى الله تعالى العامل بما يدعو إليه، من أحسن الناس قولاً، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، بل إن الداعية له أجره من الله الكريم، وله كذلك أجر من دعاهم إلى الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً**»(١).

وفي ظل استشعار الهم الدعوي ومسؤولية إبلاغ دين الله تعالى وخدمته وتعبيد الناس به؛ يأتي موضوع التصدّر الدعوي، وذلك ببروز الدعاة المؤهلين في بعض المواقع والأعمال للقيام بواجبهم الدعوي، وهذا يتناوله هذا البحث وفق العنوان الاتي: **التصدّر الدعوي.. إشكالاته وضوابطه.**

إشكالية البحث وتساؤلاته:

مع أهمية التصدّر الدعوي والذي قد يكون مطلوبًا من باب التخصص والجودة والإتقان، فضلًا عن مقتضيات العصر ومتطلبات نجاح جهود الدعوة وضرورة المزاحمة والمنافسة والظهور، وما يترتب على التصدّر الدعوي من إيجابيات تنعكس على

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

المدعوين مع إمكان تحقيق الأهداف الدعوية؛ إلا أن التصدّر قد تترتب عليه بعض السلبيات وتؤثر فيه بعض الإشكالات، مما يستدعي وضع الضوابط اللازم لحفظ مساره من الانحراف والاعوجاج.

وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمحور حول هذا التساؤل الرئيس: ما مدى الحاجة للتصدر الدعوي في ظل إشكالاته وما ضوابطه؟

وتتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما مفهوم التصدّر الدعوي؟
٢. ما أهمية التصدّر الدعوي ومدى حاجة المدعوين إليه؟
٣. ما أبرز إشكالات التصدّر الدعوي؟
٤. ما ضوابط التصدّر الدعوي؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. يأمل الباحث أن يشكّل هذا البحث إسهاما معرفيًا في مجال الدعوة إلى الله تعالى وتبصير الدعاة بالطريقة التي يسلكونها في الدعوة إلى الله تعالى.
٢. تكمن أهمية هذا البحث في استشعار الباحث لمدى لحاجة لتوعية الدعاة المعاصرين وتثقيفهم بأمر التصدّر الدعوي وما يتعلق به ويترتب عليه.
٣. لعل هذا البحث يُقدّم رؤيةً واضحة المعالم لكيفية تعامل الدعاة مع إشكاليات التصدّر الدعوي وفق ضوابطه اللازمة.
٤. إن التصدّر الدعوي المعاصر لغير المؤهلين له لا سيما من خلال وسائل الإعلام؛ اقتضى مثل هذا البحث للتمييز بين التصدّر المقبول والمرفوض.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

١. التعريف بمفهوم التصدّر الدعوي.
٢. بيان أهمية التصدّر الدعوي ومدى حاجة المدعوين إليه.
٣. مناقشة أبرز إشكالات التصدّر الدعوي.
٤. عرض ضوابط التصدّر الدعوي.

منهج البحث:

إن طبيعة موضوع هذا البحث استلزمت استخدام منهجين علميين اثنين هما:

المنهج الوصفي الاستقرائي: وهو المنهج الذي يُعرّف بأنه: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على

إجابة أسئلة البحث"[1]، فهو منهجٌ يسعى إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة محط الدراسة وتفسيرها وتحليلها واستنباط النتائج والدلالات المفيدة التي تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن موضوع الدراسة، وهذا ما سأبني عليه بحثي هذا من خلال جمع وتتبع موضوع التصدّر الدعوي واستجلاء ضوابطه.

المنهج التحليلي: وهو "المنهج الذي يمكّن الباحث من القيام بتحليل الظاهرة التي يتم دراستها، ويقوم بالمقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى التي تتعلق بها، لكي يتم تفسيرها وتحليلها واستنتاج الحلول بشكل مدروس"[2]، ومن هذا المنهج سأقوم أيضًا بتحليل إشكاليات التصدّر الدعوي المستنبطة من واقع العمل الدعوي المعاصر.

الدراسات السابقة:

وفق تحري الباحث في استقصاء ما كتب من دراسات سابقة حول موضوع التصدّر الدعوي؛ فإنه لم يقف على أي دراسة تطرقت للموضوع وفق عنوانه ومضمونه، باستثناء دراسة واحدة عبارة عن كتاب.

الكتاب بعنوان: المتصدِّرون في سن العشرين فما دون ذلك للتأليف والتدريس والقضاء والفتيا، للدكتور علي محمد العمران، الكتاب في ٢٨٦ صفحه، من منشورات دار الحضارة للنشر والتوزيع، عام ٢٠٢١م.

ويفترق هذا الكتاب عن دراستي بالآتي:

- الكتاب في السير والتراجم بينما بحثي في الدعوة.
- الكتاب مختص بالتأليف والتدريس والقضاء والفتيا دون الدعوة، بينما بحثي مختص بالدعوة فقط.
- الكتاب محدد بمن تصدروا في سن معين بينما بحثي لا علاقة له بتحديد السن.

خطة تقسيمات البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفق الآتي:

المبحث الأول: مفهوم التصدر الدعوي وأهميته.

المطلب الأول تعريف التصدّر الدعوي لغة واصطلاحا

المطلب الثاني أهمية التصدّر وحاجة المدعوين إليه.

المبحث الثاني إشكاليات التصدّر الدعوي.

المطلب الأول تضخيم أدبيات الورع وهضم النفس والخروج بها عن سياقاتها

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ، ص: ٢٠٦.

(٢) البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية-مصر، ٢٠٠١م، ص ١١١.

المطلب الثاني ربط التصدّر بالعمر أو المراحل العلمية

المطلب الثالث التصور بأن المتصدر يلزمه التحدث في كل شيء

المبحث الثالث: ضوابط التصدّر الدعوي

المطلب الأول الأهلية

المطلب الثاني التوازن بين الخمول والتصدّر بحسب المصلحة الدعوية

المطلب الثالث معاهدة النفس وتزكيتها

المطلب الرابع الحاجة إلى تصدر الداعية أو التصدّر لمن لا تقوم الدعوة إلا به

المبحث الأول: مفهوم التصدر الدعوي وأهميته

المطلب الأول: تعريف التصدر لغة واصلاحا

التصدر لغة: من صدر، جلس في صدر المجلس، وتقدم القوم. ***تصدر*** الفرس: تقدم الخيل بصدره. صدر الصَّدْر: أعلى مقدَّم كل شيء(١).

التصدر اصطلاحا:

لابد ابتداء من التفرقة بين الداعية الذي وطن نفسه وكرس حياته لخدمة الدعوة والقيام بمهامها، وتفرغ للدعوة ليكون رأسا في ميادينها، وعلما من أعلامها، وبين من يدعو إلى الله بحسب ما يوجبه الموقف وتضطره إليه الواقعة، كأن يباشر منكرا أو يتعاهد ابنا له ونحو ذلك.

فالأول هو المقصود بهذا البحث، وإليه ينصرف الذهن عند ذكر مصطلح التصدر الدعوي.

ويمكن أن يعرف هذا المصطلح بالعبارة الآتية: **(بروز المسلم المؤهل في إحدى المجالات لإبلاغ دين الإسلام)**

المطلب الثاني: أهمية التصدر وحاجة المدعوين إليه

إن الدعوة إلى الله لا يمكن أن تصل إلى المدعوين مالم يكن هناك دعاة يحملونها، وذلك من لوازم الدعوة ومقتضياتها، وكلما تصدر المشهد الدعوي دعاة ثابتون على الدوام كان أذلك أدعى لتأثيرها وبقائها.

ولذلك جاء في القرآن وصف الدعاة بما يجلي موضوع التصدر الدعوي وضرورته، فقد وصفهم الله ب (الرسل) و (الأئمة) و (أهل العلم) و (أهل الذكر) وغيرها من الألقاب التي تحمل معنى الظهور للناس حتى يكونوا منارة للخير يستضئ الناس بعلمهم وسيرتهم، ويستعينون بهم في تعلم أمور دينهم وحل مشكلاتهم، قال الله تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]

وقال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] وقال تعالى:﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

(١) ينظر مادة صدر في لسان العرب والمعجم الوسيط.

[النساء:٨٣] إلى غير ذلك من الآيات الكريمات التي تدل على أهمية التصدر للقيام بمهمة البلاغ.

كما أن التصدر الدعوي يسهل مهمة الإفادة من الداعية المتخصص في مجاله، ولذلك فقه النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة البروز في تذليل الصعاب على المدعو فكان ينبه على تميز صحابته وتمكنهم من مجالاتهم الدعوية، **قال صلى الله عليه وسلم: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»**[(١)]، **وقال صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**"[(٢)]

ومما سبق يمكن إبراز أهمية التصدر الدعوي بوصفه لازما من لوازم الدعوة فيما يلي:

١_ أن تصدر الداعية في مجال دعوي يبني ثقة في شخصية الداعية تبلغه مرحلة الرسوخ والتمكن في الميدان الذي انقطع إليه.

٢_ أن التصدر الدعوي يساعد في إيصال الرسالة الدعوية بسلاسة وسهولة، يتمكن من خلاله الدعاة في تقديم بعضهم على بعض في الحاجات أو النوازل الدعوية بحسب التخصص، كما أنه يسهل على المدعو الوصول إلى الداعية المتخصص ليسهم في حل مشكلته أو ليتزود من معرفته.

٣_ أن انطواء الأكفاء يغري المستعجلين غير المؤهلين في سد الفراغ، إذ لابد للميدان من دعاة، ولا تخلو الساحة من قائم بدعوة، فيحين يتنحى الدعاة المؤهلون سيحل بدلا منهم دعاة الباطل، وسيضطر الصالحون الغيورون للدفاع وسد الثغرات بما يستطيعون مع قلة العلم وضعف البضاعة، كما أن خلو الساحة ربما جرأ أنصاف المتعلمين المتعالمين، يدفعهم إلى ذلك اغترار العامة بصلاحهم، وجهلهم بخطورة المسؤولية الدعوية، وعزوف العلماء الربانيين عن واقع الناس والجلوس إليهم، الأمر الذي يجعل المدعوين يقبلون على المتصدرين من الجهلة الذين يملؤون هذا الفراغ، ورحم الله القاضي عبد الوهاب المالكي إذ يقول:

متى يصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني الأصاغر عن مراد إذا جلس الأكابر في الزوايا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (١٨٦/٦)، رقم الحديث (٤٩٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة رضي الله عنهم، (٦٦٥/٥) رقم الحديث (٣٧٩١)، وقال: حديث حسن صحيح.

وإن ترفـــــع الوضـــــعاء يومـــــاً على الرفعـــاء مـــن إحـــدى الرزايـــا

إذا اســـــتوت الأســـــافل والأعـــــالي فقـــد طابـــت منادمـــة المنايـــا[1]

المبحث الثاني: إشكاليات التصدر الدعوي

المطلب الأول: تضخيم أدبيات الورع وهضم النفس، والخروج بها عن سياقتها.

تتسرب المفاهيم المغلوطة إلى أذهان الناس بسبب معلومات غير ناضجة، أو معـــارف لم تقرأ قراءة صحيحة، تفهم في غير سياقاتها التي قيلت فيها، ومن هنـــا نـــشأ التأويـــل والتحريف لنصوص الشرع بله المقولات المأثورة عن الـــسلف الـــصالح مـــن العلمـــاء والدعاة والعباد والزهاد.

ولو تأملت بعض النصوص التي وردت عن السلف في ذم التصدر والظهور، والتـــي تدعو إلى إيثار الخمول والخفاء، لوجدت أنها عبارات محتملة تنبه على خطورة التصدر، لكنها غير مجردة من ضوابط ومعايير يلتمس منها البصير الغايات المقصودة مـــن تلـــك المقولات تصونه من الوقوع في مضايق الإفراط ومزالق التفريط.

ودونك بعضا مما أثر من تلك النقولات:

* قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "كنا إذا رأينا الشابَّ يتكلم فـــي المجلـــس أيـــسنا مـــن خيره"[2].

* وقال الصعلوكيّ رحمه الله: مَنْ تَصَدَّرَ قبلَ أوانِه، فقد تصدّى لِهَوَانِه[3].

* وقال الثوري رحمه الله: من حدث قبل أن يحتاجَ إليه ذل[4].

* وقال سُحنون رحمه الله: ما وجدتُ من باع آخرتَه بدنيا غيره إلا المُفتي[5].

* وقال مالك بن أنس رحمه الله: ما أفتيت حتى شهِد لي سبعون أني أهلٌ لذلك[6].

* وقال أيضًا رحمه الله: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هـــل يرانـــي موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت: يا أبا عبـــد الله فلو نَهوْك؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يـــسأل مـــن هو أعلم منه[7].

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط١(١٩٠٠)، دار صادر، بيروت، (٣/٢٢١).

(٢) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ)، تح: السعيد بيوني وبسري عبد الغني، ط١(١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيـــروت، ج٥، ص (٢٢٣) والبداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ ــ ٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مركز البحوث، دار هجر، ج١٠، ص(٢٠٨)

(٣) السير من التهذيب، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٦هـ)، تح: راوية بنت أحمد الظهار، ط(١٤٢٢هـ)، الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنـــورة، (٣/ ١٣٣٧)، وتهـــذيب حليـــة الأولياء وطبقات الأصفياء، تح: صالح أحمد الشامي، ط١(١٩٩٨م)، المكتب الإسلامي، بيروت، (٢/ ٣٦٣).

(٤) تهذيب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٢/ ٣٦٣).

(٥) السير من التهذيب، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي، (٣/٩٨٣)

(٦) صفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط (١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م)، دار الحديث، القاهرة، (٢/ ٥٠٣)

(٧) صفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (٢/ ٥٠٣)

والمتأمل في ما سبق يدرك أنها دعوات لا تذم التصدر بإطلاق، بل جاءت لتضيق التصدر حتى لا يكون حمى مستباحا لكل أحد، ويمكن فهم تلك الأدبيات من خلال ما اشتملت عليه من المحددات التي تكشف عن المقصود، أو أن تفهم في سياق معين لا يتعدى إلى غيره من خلال ضم النظير إلى نظيره واستدعاء جميع النصوص الواردة في الباب، كما هو الحال في المحتملات التي لا يدفع التعارض فيها إلا بالنظرة الشاملة والإحاطة الكلية التي تلم شتات المسألة ليتبين المسلك العلمي في الجمع بينها أو ترجيح رأي من الآراء عند تعذر الجمع، كما هو مقرر في مباحث علم أصول الفقه، والحديث، ونحوها(١).

وبالنظر إلى المقولات السابقة يمكن استنتاج أمارات التصدر المذموم، وعليه تنزل بقية الآثار الواردة في هذا الموضوع، وهي كالتالي:

أولا: تصدر حدثاء الأسنان في المجالس، يؤخذ هذا من قول إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "**كنا إذا رأينا الشابَّ يتكلم في المجلس أيسنا من خيره**"(٢)، وعند التأمل في مفردة **(الشاب)** وتقييدها بحديثه في **(المجلس)**، يفهم منه تصدر الشاب بالحديث في مكان يعتاد الناس الجلوس فيه، ومعلوم أن المجالس يؤمها الصغار والكبار، وليس من العقل والمروءة أن يتصدر الصغار بحضرة الكبار، لاسيما وأن زينة المجالس أشياخها وكبارها، لما للكبير من الإرث الوافر من المعرفة والتجربة والنضج، وهذه الثلاثة مرتكزات التصدر التي لا يكمل بدونها.

وليس معنى ذلك أن يحرم الأدنى من الحديث بحضرة الأعلى، بل يمكنه المشاركة وعرض ما لديه ليتسنى للأكفاء تقويمه وتصويبه، وليطمئن إلى حسن بضاعته بإقرار الكبار والإفادة من توجيهاتهم، وفي هذا السياق يقرر السيوطي جواز ذلك ويبرره بقوله:

ومن يحدّث وهناك أولى فليس كرهاً أو خلاف الأولى
هذا هو الأرجح والصوابُ عهد النبي حدث الصحابُ.(٣)

ومن هنا يفهم أن المذموم هو تصدر حدثاء الأسنان في المجالس التي يغشاها صنوف من الناس على اختلاف معارفهم وأعمارهم، وليس المقصود ذم مطلق المشاركة منهم، والفرق بين التصدر والمشاركة هو الضابط والإشكال الذي قام عليه هذا البحث، فليتأمل!

(١) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، مبحث التعارض، ط٢(١٤٢٣ه ــ ٢٠٠٢م)، مؤسسة الريان، (٣٩٠/٢)، و مقدمة علوم الحديث، للإمام أبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المشهور بابن الصلاح(ت٦٤٣ه)، ط١، (١٣٥٠ه ــ ١٩٣١م) ، المطبعة العلمية، حلب، ص (٣٩٠) .

(٢) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، (٢٢٣/٥)

(٣) ألفية السيوطي في علم الحديث، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت٩١١ه)، تصحيح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، ج١، ص (٨٩)

ثانيا: التصدر قبل اكتمال الأهلية، يؤخذ هذا من قول الصعلوكي رحمه الله: (من تصدر قبل أونه فقد تصدى لهوانه)[1]، وهذا ذم في محله، لأن من برز للناس ولم يكن مستعدا فإنه سيكون عرضة للاستهداف، ولن يسلم من الزلل، وسينكشف عواره مما يجعله ينكسر بعد ذلك لكثرة السهام الموجهة إليه نقدا وملامة، أو أن يستمرئ الخطأ وتأخذه العزة بالإثم حفاظا على المكتسبات التي حصلها من الرئاسة والزعامة والشهرة وما إلى ذلك.

وقد مر الحديث عن الأهلية بوصفها ضرورة وشرطا للتصدر الدعوي، بل لا قيمة للتصدر بدون الأهلية فهي شرط لازم له، ولا يصح بدونها.

ثالثا: التصدر قبل استشارة أهل العلم والخبرة، ويفهم من صنيع الإمام مالك رحمه الله ذم هذا المسلك، وكأنه أراد أن يبين للناس مسؤولية العلم والدعوة، وأنها ليست بالأمر الهين الذي يتسنمه كل أحد، لذلك قال رحمه الله: (ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت: يا أبا عبد الله فلو نَهوكَ؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه)[2]

وهذه الفائدة المسلكية من الإمام مالك رحمه الله ينبغي أن تكون حاضرة في ميادين الدعوة والدعاة، وأن تكون نبراسا يحتذى، وسننا يسير الهداة عليه، لأن عرض الداعية علمه وخبرته على من هو أعلم منه يعد موردا يفيد منه الداعية في الجواب على سؤال الأهلية هل أصبح مؤهلا أم لا؟، فإن عمّده الدعاةُ _ذوي الكفاءة والخبرة والأمانة_ فإنه سيطمئن وينطلق بخطى ثابتة، والداعية بحاجة إلى الطمأنينة والثقة، لأن طريق الدعوة محفوف بالابتلاءات، وحينئذ سيستصحب تزكية إخوانه ويظل على وصال بالعلماء الناصحين ليزيدوه ثباتا، فالمرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه، يستعين بهم بعد طلب العون والتأييد من الكريم سبحانه على الدوام، وهو يتولى الصالحين.

ومما سبق يتبين غلط من عمد إلى تلك النصوص وفهمها على غير مرادها حتى جعلها منفرة من التصدر المحمود المنضبط، وأصبحت بتضخيمها وخروجها عن سياقها طاردة للدعاة لا يفتأ الواحد منهم مبتدئا حتى تحوطه تلك الأدبيات من كل جانب بمفهوم مغلوط يؤول به إلى الركون والتقاعس، حتى ليخيل إليه بعد ذلك أن التصدر عزيز المنال، وأن المتصدرين تحفهم هالة من الخوارق التي مكنتهم دون غيرهم، فينتج عنه تقديسا مقيتا ومسحة ملائكية لهؤلاء المبرزين تنعكس بالأثر السلبي على الدعوة من حيث

(١) السير من التهذيب، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (٣/ ١٣٣٧)
(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٢/٥٠٣)

الغلو في الأشخاص، أو عدم احتمال الغلط منهم لطغيان الصورة النمطية المقدسة في الأذهان.

لذا فإن الاتزان والتوسط مسلك رشيد في تلقي المعارف التي تنسحب على السلوك والمواقف، فالغلو يبدأ بفكرة، والتوسط يعد معيارا تقوم به الأفكار.

المطلب الثاني: ربط التصدر بالعمر أو المراحل العلمية كضرورة للتأهيل العلمي

الأصل أن الذي يدفع بالداعية إلى التصدر هو حاجة المدعوين إلى العلم، والحاجة قائمة في كل وقت، بل ولا تستقيم عبادات الناس بلا أئمة وخطباء وعلماء ووعاظ يقومون بتعليمهم وإرشادهم، لذا كان لابد من تصدر البعض لسد هذه التكاليف الشرعية متى حان وقتها، وشرطه كما سيمر في ضابط الأهلية بأن يكون المتصدر عالما بما يدعو إليه، سالكا الحكمة في طريقه الدعوي، وهاتان الصفتان _العلم والحكمة_ أبرز سمات الداعية المؤهل.

إلا أن هناك تصورا مغلوطا لا يعدو أن يكون وهما تمكن من بعض العقول وقد أفرزته بعض البيئات الدعوية والمناهج التربوية الموغلة في المرحلية دون اعتبار الأولويات والفروقات والضرورات، وهو اعتقاد أن التصدر مشروط بمرحلة عمرية يجتازها الداعية، أو بمرحلة علمية منهجية يحيط بها ومن ثم يحق له التصدر بعد ذلك، وهذا تصور خاطئ من عدة أوجه:

أولا: أن هذه الطريقة تخالف ما كان مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في فهم الدعوة وتطبيقاتها، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصب شباب الصحابة في بعض ميادين الدعوة، لما يراه من الأهلية فيهم، والحاجة إليهم، ومن ذلك تكليفه مصعب بن عمير رضي الله عنه بالهجرة إلى المدينة لتعليم الناس القرآن ومبادئ الإسلام(١)، وتعيينه أسامة بن زيد لقيادة الجيش،(٢) وتوجيهه مالك بن الحويرث وصحبه عندما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وهم _شببة_ بأن يعودوا إلى أقوامهم ليعلموهم، علما بأنهم لم يمكثوا أكثر من عشرين ليلة وفي ذلك يقول مالك رضي الله عنه: " أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»"(٣)

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢٨/٣)، رقم (٣٧١٠) .

(٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، (١٦/٦)، رقم (٤٤٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، (٩/ ٨٧) رقم (٧٢٤٦).

والمتأمل في هذا النص النبوي: وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" يدرك أن التوجيه الأهم للدعاة هو أن يبلغوا الدعوة كما هي دون زيادة أو نقصان، لأن الدين كله قائم على الاتباع لا الابتداع، وهذه أمثلة تدل على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم تصدر الدعاة ما داموا أهلا للتصدر دون النظر في ضابط العمر.

كما أنه أقر صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة على مباشرة الدعوة التي تلقوها بأن يبلغوها كما سمعوها دون اشتراط زمن معين أو مرحلة علمية تمكنه من إدراك جميع العلم، ويحضر في هذا السياق شاهد يبرهن على ذلك:

ــ قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد ذكرت كتب السير القصة بطولها وفيها عبر وفوائد، والشاهد منها أن الطفيل رضي الله عنه لما شرح الله صدره للإسلام، وأدرك بفطرته الصافية وقناعته التامة صدق هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، واستقر في قلبه حلاوة البيان الآسر في القرآن الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، وأيقن وهو الشاعر اللبيب أن هذا القرآن قد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة والإعجاز، حينها لم يكن منه إلا أن انقادت نفسه للدخول في الإسلام، حبا ورغبا، طوعا لا كرها، وقد كان يملك مقومات الأهلية لأن يتصدر الدعوة في قومه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك حين قال: (يا نبي الله! إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعل له آية)[1]

وهذه هي الأهلية التي تشترط، وما عداها من اشتراط العمر أو الإحاطة بجميع العلم لم ينظر لها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعتبرها في تقرير الأهلية التي يكون عليها الداعية.

ثانيا: لو صح شرط العمر أو الإحاطة بالعلم، لافتقرت الساحة الدعوية إلى الدعاة بحجة أن كثيرًا منهم لم يجتاز القنطرة التي تمكنه من النزول إلى الميدان كما زعموا.

ثالثا: القائلون بهذه المثاليات من اشتراط عمر معين أو تجاوز مرحلة علمية ما يلزمهم أن يجعلوا حدا ضابطا يمكن القياس عليه في أهلية المتصدر، ولن يجدوا ما يسندهم في ذلك، فالمواهب والملكات لا تحكمها الأعمار، والمناهج والعقول تختلف في الحد الأدنى من التمكن العلمي.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، (٢/ ٤٢٠)، والطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تح: محمد عبد القادر عطا، ط٢(١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، مج١ (٤/ ٤٣٩) واللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي، ط١(١٤٣٢ه ــ ٢٠١١م)، المكتبة العامرية، الكويت، (٤٦٣/١)

إذن، فلم يبق إلا التأكيد على ما سيذكر في ضوابط التصدر متى احتيج إلى الداعية دون الاعتبارات الأخرى، ويمكن توجيه من يقول باشتراط عمر معين إلى أن ذلك هو الأصل في المتصدر أن يكون ممن تمكن من علوم الشريعة وقومته التجارب وهذا يتوفر عادة في الكبار دون الصغار، لكنه لا يعني عدم مشاركة الصغار إذا كانوا ضابطين والحاجة إليهم قائمة ونحو ذلك مما سيأتي بيانه في ضابط الأهلية.

نعم قد يحتاج المتصدر لبعض ميادين الدعوة إلى شروط خاصة، كما هو الحال في الفتوى، وقد ذكر الشافعي رحمه الله شروطا دقيقة للمفتي، فيقول رحمه الله: "لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُفْتِي فِي دِينِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلًا عَارِفًا بِكِتَابِ اللَّهِ: بِنَاسِخِه وَمَنْسُوخِه، وَبِمُحْكَمِه وَمُتَشَابِهِه، وَتَأْوِيلِه وَتَنْزِيلِه، وَمَكِّيِّه وَمَدَنِيِّه، وَمَا أُرِيدَ بِه، وَفِيمَا أُنْزِلَ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ بَصِيرًا بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَيَعْرِفُ مِنَ الْحَدِيثِ مِثْلَ مَا عَرَفَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَكُونُ بَصِيرًا بِاللُّغَةِ، بَصِيرًا بِالشِّعْرِ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْه لِلْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وَيَسْتَعْمِلُ مَعَ هَذَا الْإِنْصَافَ، وَقِلَّةَ الْكَلَامِ، وَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا مُشْرِفًا عَلَى اخْتِلَافِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، وَيَكُونُ لَهُ قَرِيحَةٌ بَعْدَ هَذَا، فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَلَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَيُفْتِيَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَكَذَا فَلَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ وَلَا يُفْتِي "[1]

ولأجل ذلك فقد كانت الإجازة بالإفتاء لا تعطى إلا في وقت متأخر نسبيا في العقدين الثالث والرابع، ولا تعطى قبل ذلك إلا في حالات نادرة لمن تأهل مبكرا.[2]

رابعا: أن جانبا كبيرا مما يشكل أهلية الداعية يكتسب من مزاولة الدعوة، واستلهام الخبرة والبصيرة من ميادينها ومواقفها، وهذا أمر مقرر في واقع الناس على اختلاف مواهبها وأعمالها، فإن المداومة على الشيء تورث إتقانا بحيث تلين الصنعة تحت سطوة العادة، فتنتج مهارة وخبرة ما كانت لتكون لولا إلف العادة وتكرار المحاولة، لذلك جاءت الوصية النبوية بذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)[3]. ويقول ابن القيم رحمه الله في ذات السياق: (فإن كثرة المزاولات تعطي الملكات، فتبقى للنفس هيئة راسخة وملكة ثابتة)[4].

ولئن كانت الأهلية المكتسبة من المزاولات سمة بارزة في كل صنعة يمتهنها الإنسان، فهي في باب الإيمان والعلم والدعوة ركيزة أساسية لتعلقها بالخالق وما يمنحه من الرضا

(١) الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف، ط١(١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار ابن الجوزي، السعودية، (٢/ ٣٣٢).

(٢) نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، جورج مقدسي، ط١(١٤٣٦ه ــ ٢٠١٥م)، دار الكتب، مصر، ص (٢٤٤)، والمتصدرون في سن العشرين فما دون، علي محمد العمران، ط١، دار الحضارة للنشر(٢٠٢١م)، ص (١٠)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة، (٨/ ٩٨)، رقمه (٦٤٦٤) من حديث عائشة.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية(ت٧٥١ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٨٤/١)

للمخلوق الذي يتقرب إليه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]

قال السعدي رحمه الله: ({وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا} بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله {زَادَهُمْ هُدًى} شكرا منه تعالى لهم على ذلك، {وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح). (١)

فالداعية الذي يعالج الدعوة ويعيش من أجلها يلهمه الله بصيرة يستمدها من الوحي المعصوم كتابا وسنة، ويفتح الله له مغاليق القلوب وتتسع في عينه مضايق الدروب، نتيجة الجهد البشري الذي يفضي إلى الوصول وتحقيق الغايات مشفوعا بالثواب الرباني جزاء الاهتداء بنور الله، ومن عاش العلم والدعوة عرف هذا، يقول أبو إسحاق الألبيري رحمه الله في حديثه عن العلم وأنه يتنامى في قلب صاحبه بسبب تعليمه وبذله:

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفا شددتا(٢).

وهنا لفتة زائدة عن المعنى المقرر، فكما أن الاستمرارية تولد الإنتاج والعبقرية، فكذلك الانقطاع يقطع المكتسبات ويضعف الملكات، يشهد لذلك أديب العربية الكبير محمود شاكر رحمه الله، فيحدث عن موهبته في الكتابة وما كان يشعر به من توارٍ الملكة خلف ضبابات الانقطاع والتوقف فيقول وأصدق القول ما كان عن تجربة: (ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه! ولكن هكذا قدر الله علي أن أفعل، فنحيته عن أناملي، لكي أفرغ للقراءة والتفكر حتى تصرم على ذلك أكثر من ثلاث عشرة سنة، فلما عدت إليه أحمله، ثقل محمله، وقد صدئ سنه، ورسف في قيود الإهمال خطؤه، وإذا هوة سحيقة القرار قد انخسفت بيني وبينه، كهوة بين حبيبين تمادى بينهما جفاء مستحدث من ملال)(٣).

وبناء على ما سبق، يتبين أن معايشة الدعوة والتصدر لها بأهلية أولية يمكن الداعية من اكتمال بناء الأهلية التي تعد المزاولة والتجربة ركنا عميدا من أركانها.

ولعل الدافع وراء هذا التضييق لمفهوم التصدر الدعوي عند البعض هو الحرص المحمود والخوف مما قد يعترض الداعية من فتن تجره إلى مزالق القول بلا علم أو حب الشهرة أو طلب المحمدة مما يحصل للدعاة من ابتلاءات ظاهرة، وعوارض نفسية خفية، ولاشك أن هذا مقصد نبيل، لكن المسلك في علاجه عليل، لأن الابتلاءات لا مفر منها قبل التصدر وبعده وعلى كل حال، فالحياة برمتها قامت على سنن الابتلاء، والانزواء

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ــ ١٣٧٦م)، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط١(١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م)، مكتبة العبيكان، الرياض، (٢٦/ ٧٨٦)

(٢) ديوان إبي إسحاق الألبيري، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ – ١٩٨١، ص (٢٦).

(٣) أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ٢، ص (١٧)

ليس حلا، وإنما البصيرة في مباشرة الدعوة مع المجاهدة، وتوصية الدعاة بأن يتحرزوا من القول على الله بلا علم، وأن يتعاهدوا أنفسهم بتزكية النفس وأطرها على التعبد تصفية لها مما يعلق بها من رواسب العجب والغرور وطلب الدنيا وغيرها من أمراض القلوب، وأن يبتغوا الأجر من الله، ويكفيهم شرفا وفخرا بأن الله زكاهم حين قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

المطلب الثالث: التصور بأن المتصدر يلزمه التحدث في كل شي.

هنالك وهمٌ سيطر على جمهرة من المتصدرين للدعوة أضر بمسيرتهم، وجر على الدعوة سيلا من الإخفاقات والمشكلات التي ما كانت لتكون لولا الحماسة المفرطة من غير وعي ومعرفة.

وقد جاء الذم لمن أجاب في كل مسألة، أورد ابن عبد البر رحمه الله بسنده عن شقيق بن سلمة قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون"(١)

ولو أن المتصدر عرف حدود المساحة التي يتحدث فيها، وتوقف عند ما لا يعرفه، وفسح المجال لأهل الاختصاص أن يدلوا برأيهم في الفن الذي مهروا فيه، وانقطعوا إليه، لو كان كذلك لحققت الدعوة أهدافها وآتت أكلها؛ لذلك فإن الأليق بالداعية البصير أن يحيل إلى غيره فيما يحسنون، وينشغل بما يتقنه ويحق له الحديث فيه.

ويغلب على الظن أن الدافع وراء اهتبال الحديث في كل مناسبة هو أمران، أحدهما ذاتي، والآخر خارجي، فأما الذاتي هو ما يشعر به المتصدر من نشوة الظهور وكثرة الحديث في المجامع والملتقيات وإعجاب المدعوين بعطائه، كل ذلك يدعوه إلى شيء من الغرور المعرفي الذي ينتفش في نفسه، وتسقيه الغفلة عن ملاحظة شرود النية وتقلباتها، ليجد نفسه متورطا بالحديث عما لا يفهمه، أو عما لا يعنيه وإن كان يفهمه، وقد يكون بقصد حسن، أو بنية مشوبة، وما أكثر ما يشوب النيات!، نسأل الله العصمة الثبات.

وأما الدافع الخارجي هو ما يتكون في أذهان المدعوين من أن المتصدرين يحق لهم أن يتكلموا في كل شيء، فيكونوا سببا ضاغطا على الداعية بأن يتحدث في كل نازلة وموضوع، ثقة بهم وحاجة إليهم، وكثير من هؤلاء الأتباع يحبون الخير ويخلصون له على قصور في النظر وضحالة في المعرفة، فهم لا يدركون أن العلم بحر لا ساحل له، وأنه أوسع من أن يحاط به، وأن الاهتمامات والإمكانات متعددة ومتفاوتة، وما يجيده زيد

(١) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، (١١٢٣/٢)

في باب ليس بالضرورة أن يحسن ما سواه من الأبواب، وأن الداعية الشامل الذي يحسن الحديث في كل شيء شخصية فريدة نادرة لا تجدها إلا في الواحد بعد الواحد.

لأجل ذلك كله ظل هذا الإشكال قائما، وله تبريراته السابقة، وحتى يحد الدعاة من هذه الظاهرة فإنه لابد من تعزيز ثقافة الإتقان والإمكان، وأن لا تترك الراحلة بلا زمام ولا خطام، وأن يعرف الداعية أن ليس من واجباته أن يكون مراقبا يكتب تقريرا في كل شيء، فهذه ليست مهمة الداعية، ويستحيل أن يكون كذلك إذ هو تكليف بما لا يطاق، وإنما يسعه أن يدل الناس على الخير بعلم وحكمة وبصيرة، في حدود معرفته وقدرته، لا يتعدى ذلك.

ويحسن هنا ذكر آثار التمادي في التصدر غير المنضبط بالأهلية والقدرة الذي يجعل من الداعية صدى للأحداث يتكلم فيما يعرف وما لا يعرف، ودونك أبرزها:

أولا: أن تصدر الداعية للمشاركة في جميع الأحداث مذموم شرعا، لأن ذلك سيؤزه ولابد للحديث عما لا يعنيه، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1] ، ثم إن من اعتاد أن يتصدر في كل شيء بلا علم وحكمة ربما أوقعه ذلك في القول على الله بلا علم، وقد قال الله سبحانه محذرا من هذا المسلك: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]

وقال الرازي رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩] يتناول جميع المذاهب الفاسدة، بل يتناول مقلد الحق لأنه وإن كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلمه فصار مستحقا للذم لاندراجه تحت الذم في هذه الآية.[2]

قال ابن القيم رحمه الله: (فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريما وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وفي دينه وشرعه. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦] فتقدم عليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا

(١) سنن الترمذي، باب الزهد، رقمه (٢٣١٧)، من حديث أبي هريرة، حديث غريب.

(٢) مباحث التفسير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المختار الرازي الحنفي(ت٦٣١م)، تح: حاتم بن عابد القرشي، ط١(١٤٣٠ه ــ ٢٠٠٩م)، دار الكنوز، اشبيليا(٣٤٣٩م)، (ص/ ١٨٧)

بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام؛ إلا لما علم أن الله سبحانه أحله أو حرمه).[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذات السياق: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[٢]، قال القرطبي رحمه الله: " ومعنى الحديث: أن من حدث بكل ما سمع، حصل له الحظ الكافي من الكذب؛ فإن الإنسان يسمع الغث والسمين، والصحيح والسقيم، فإذا حدث بكل ذلك، حدث بالسقيم وبالكذب، ثم يحمل عنه، فيكذب في نفسه أو يكذب بسببه"[٣].

ثانيا: أن التصدر غير المنضبط والتحدث في كل نازلة مدعاة للوقوع في الأخطاء ولابد، فالعلوم أوسع من أن يحاط بها جملة، والقضايا لها تفاصيل وملابسات تستدعي التفطن والتأني قبل الحديث عنها.

لذلك تزل أقدام المتصدرين العجلين فينشغلون حينئذ بتصويب الخطأ الذي وقعوا فيه، وفتح باب جديد من المواجهات الفكرية يصدهم عن الهدف المنشود، وأصبح الواحد منهم يعالج القضايا المتعددة بعد أن كانت قضية واحدة، وما عسى أن ينجز وقد اتسع الخرق على الراقع، فيتمدد العمل حينها ويتشتت الجهد وقد كان الداعية في غنى عن ذلك لولا العجلة وفقد معيار الاتزان.

كما أن كثرة حديث المرء فيما لا يحسنه مظنة السقوط في حبائل الغرائب والعجائب، وصدق الحافظ ابن حجر رحمه الله حين قال عند تعليقه على مسألة رآها مجنحة: " وإذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب "[٤].

ثالثا: التشتت والانشغال عن الأولويات وتقديم المفضول على الفاضل، إن لم يخرج عن دائرة الفضل إلى المكروه، وهذه نتيجة طبيعية للتسلسل المنطقي لمن يتصدر في كل شيء، ويتحدث عند كل حدث، فإن الداعية المتصدر لو عرف مجاله الذي يجيده ورتب أهدافه الدعوية وانطلق في رحاب معرفته وميدانه، لاستغرق ذلك جهده ووقته دون أن يصل إلى غاياته _ويكفيه شرف السير وإن لم يصل_، ولما وجد وقتا يلتفت فيه للماجريات، التي تضطلع بها الساحة ولا تكاد تنتهي في زمن أبرز خصائصه السرعة وتقلب الأحداث.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية، ط (١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، مقدمة المصنف، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ص (١٠)، رقمه (٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (٥٧٨ــ ٦٥٦ه)، تح: محيي الدين ديب وآخرون، ط١(١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار ابن كثير، (دمشق ــ بيروت) ودار الكلم الطيب (دمشق ــ بيروت) ، (١/١١٧)

(٤) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ــ ٨٥٢م)، كتاب الحج، باب الدعاء عند الجمرتين، (٣/ ٥٨٤) رقم الحديث (١٧٥٣).

وقد نقل الخطيب البغدادي رحمه الله بسنده عن أبي عبيدة هذا المعنى فقال: «من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم»[1]، وهي كلمة مباركة تجمع شتات هذا المعنى في عبارة وجيزة، وهي ليست في باب العلم فقط، وإنما قاعدة يؤخذ بها في شتى مناحي الحياة، والمهم هنا توظيفها دعويا في جميع مجالات الدعوة علما وعملا وسلوكا واحتسابا وإغاثة وجهادا وتطوعا ونحو ذلك من الميادين التي يتصدر فيها الدعاة، والواقع يشهد بصحة ذلك فإنه ما من طائفة اشتغلت بغير المهم إلا ابتعدت عن المهم بقدر اشتغالها عنه، وهذا أقل الضرر، إن لم يقودهم ذلك الارتجال والجنوح إلى التخبط والوقوع في العثرات والزلات.

ودونك هذا المثال الذي يسوقه العلامة ابن عاشور رحمه الله محللا أسباب ضعف الوصول إلى رتبة التحقيق العلمي في بعض مراحل التاريخ فيقول رحمه الله: (ثم إن الميل إلى المشاركة استفحل في طلبة العلم فأضر العلم بانصراف طلبته عن تحقيق العلوم، حتى إن من يكون في طبعه الميل إلى التحقيق إذا جمع بين التحقيق والمشاركة توزعت مواهبه، لأنه يطلب المشاركة والبحث في جميعها، وبالضرورة يقتنع من كل علم بعلاله فأثر ذلك اشتغالهم بتتبع المباحث اللفظية فوقفت العلوم عن الزيادة والتمحيص، ثم صارت التآليف منحصرة في طرر وحواشي ونقود وردود، وكان أكثر تأثير ذلك على تأخر الأدب العربي، فإن ميل كل طالب إلى أن يكون شاعرا كاتبا عالما مؤلفا قضى بأن يقتنع بالقليل من كل ذلك فتأخر الأدب تأخرا عظيما وتضاءل النبوغ إلا نادرا)[2].

وهذا النص يثبت باستقراء ابن عاشور أن الاشتغال بغير المهم يؤثر في شتات الفكر وتبديد المواهب، وأن جمع الهم على مقصود بعينه يبلغ الذروة في الإنجاز ليصل إلى حد الإبداع.

وعليه فإن المتصدرين الذين تسنموا ذرى المجد كانوا ينقطعون لما أملوه وقصدوا الوصول إليه دون الالتفات إلى بنيات الطريق، فها هو المحقق الكبير إحسان عباس رحمه الله يتحدث عن نفسه في لمحة عن سر النتاج الغزيز لمشروعاته العلمية والأدبية فيقول: (أنا أعرف أن المثقفين في عصري كانوا يتحدثون في القضايا الساخنة، وفي حرية التعبير، وحرية المرأة، والاتجاه الإسلامي والماركسي، والحداثة وما بعد الحداثة، وسيطرة الرأسمالية والعولمة و... عن عشرات من القضايا الأخرى. لقد كان شعاري أن لا أكتب في شيء خارج عن اختصاصي وما أثق فيه بمعرفتي ووضوح تصوري، لقد

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، (١٦٠/٢).
(٢) أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر ابن عاشور، ط١(١٤٢٧ه ــ ٢٠٠٦م)، دار السلام (القاهرة) مؤسسة دار سحنون، تونس، ص (٤٣).

كنت أغذي هذا الجانب لدي بالقراءات المستفيضة، ولكني كنت أحجم عن تناوله بالبحث والكتابة، ورحم الله امرءًا عرف حده فوقف عنده)[1].

وخلاصة ما سبق يتبين أن من إشكالات التصدر الدعوي التصور الخاطئ الذي يسوغ للداعية مباشرة كل نازلة دعوية، وقد ثبت أن التحدث في كل شيء طريق مدحضة مزلة، من آثارها وقوع الخطأ الذي قد يصل إلى الافتئات على الله بغير علم، ودخول المرء فيما لا يعنيه ولا يحسنه مما يجعله عرضة لتسويق الغرائب والعجائب، كما أن الاشتغال بغير المهم يضر بالمهم، ويبدد الطاقة ويضاعف الجهد ويضعف التخصص الدعوي، وواحدة من هذه الآثار كفيلة بتحجيم العطاءات الدعوية فكيف وهي متلازمة مجتمعة تلحق تبعاتها بكل من حاد عن المنهج القويم والمسلك الحكيم.

المبحث الثالث: ضوابط التصدر الدعوي

المطلب الأول: الأهلية

تعد الأهلية أهم ضوابط التصدر الدعوي، بل إن كل ضابط سيأتي هو فرع عن الأهلية عائد إليها، وهو المصطلح الذي يسبق في الحكم على الأشخاص تجاه ما يقومون به، والسؤال الأول لمعرفة مدى تمكن المرء مما هو مقدم عليه، فيقال: هل هو مؤهل لذلك؟ أم لا؟

لذلك اعتنى العلماء بمفهوم الأهلية غاية الاهتمام، وعقدوا لها المباحث وتجاذبوا الآراء حولها، ومن أوائل من عني بذلك علماء الرواية والإسناد، فقد عقدوا مقدمات في كتب أصول الحديث تؤصل لكيفية سماع الحديث، ومتى يصح تحمل الرواية؟، وما المعتبر في أدائها؟

ويمكن تلخيص ما ساقه المحدثون بعد مباحثات قائمة على عرض النصوص واستنباط الحجج منها إلى أن المعتبر في تحمل الرواية هو ضبط الراوي وتمييزه لما تحمله، لذلك منهم من حد لها سنا معينا وهو الخامسة باعتبار أن هذا السن هو أقل سن يمكن معه التمييز، مستدلين بقصة محمود بن الربيع إذ يقول: «**عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو**»[2]، ومنهم من جعل ضابطا يفهم منه التمييز وهو **أن** يفهم الخطاب ويرد الجواب، ولعله الأقرب لصحة تحمل رواية من كان كذلك، إذ الأهم ضبط الرواية لا اعتبار السن، بدليل أن الناس قبلوا رواية صغار الصحابة كالحسن والحسين وابن الزبير وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم،

(١) بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (٢٠٠١)، بيروت، (٥/١)، وارتياض العلوم، ص (٧٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، (٢٦/١)، رقمه (٧٧).

كما أن هناك من الصغار من يحفظ ويضبط لذكائه وجودة ذهنه، ومن الكبار من لا يضبط لبلادته وغفلته[١].

قال ابن الصلاح: (والذي ينبغي في ذلك أن تعتبر في كل صغير حاله على الخصوص، فإن وجدناه مرتفعا عن حال من لا يعقل فهما للخطاب وردا للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه وإن كان دون خمس، وإن لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وإن كان ابن خمس، بل ابن خمسين)[٢]

قال القاضي عياض: (متى ضبط ما سمعه صح سماعه، ولا خلاف في هذا)[٣]

هذا من حيث أهلية الراوي في تحمل العلم، أما من حيث أداء الراوي لما تحمله والتصدر للتعليم والدعوة، فقد اشترط بعض العلماء على السن لأنه مظنة الإتقان والتمكن، كما حد الرامهرمزي سن الخمسين لذلك، قال: "وليس ينكر عند استيفاء الأربعين" واعترض عليه القاضي عياض رحمه الله بذكر جماعة من السلف المتقدمين ومن بعدهم من المحدثين لم ينتهوا إلى هذا السن، وكانوا سببا في نشر العلم والحديث.

ثم جاء ابن الصلاح فلخص ووجه كلام الرامهرمزي وجمع بينه وبين ما قاله القاضي عياض بقوله: "على أنه قال فيمن يتصدى للتحديث ابتداء من نفسه من غير براعة في العلم تعجلت له قبل السن الذي ذكره.... أما الذين ذكرهم عياض ممن حدث قبل ذلك فالظاهر أن ذلك لبراعة منهم في العلم تقدمت، ظهر لهم معها الاحتياج إليهم، فحدثوا قبل ذلك)[٤].

والمتأمل في تحرير ابن الصلاح هذا يلتمس خيطا رقيقا دقيقا وثيقا يمكن منه استخلاص ضابط الأهلية للتصدر في ميدان العلم والدعوة ويظهر في أمرين:

الأول: البراعة في العلم ولو في سن مبكرة.

كما أذن مسلم بن خالد الزنجي فقيه مكة للشافعي بالإفتاء وعمره خمسة عشر عاما.[٥]

الثاني: الحاجة إلى المتصدر.

قال أبو بكر الخطيب رحمه الله: " فإن احتيج إليه في رواية الحديث قبل أن تعلو سنه، فيجب عليه أن يحدث ولا يمتنع، لأن نشر العلم عند الحاجة إليه لازم، والممتنع من ذلك عاص آثم"[٦]

---

(١) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ــ ٩١١هـ)، تح: أبو نظر محمد قتيبة الفاريابي، ط١، مصر (١٤١٤م)، ط٢، بيروت (١٤١٥م)، مكتبة الكوثر، الرياض، (٥٨٤/١)

(٢) علوم الحديث، ابن الصلاح، (١٣٠)

(٣) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي(ت٥٤٤هـ)، تح: أحمد صقر، ط ١(١٣٧٩هـ ــ ١٩٧٠م)، دار التراث ــ المكتبة العتيقة، القاهرة /تونس، ص (٦٢)، وتدريب الراوي، السيوطي، (٥٨٥/١)

(٤) علوم الحديث، ابن الصلاح، (ص٢٣٧_٢٣٨)

(٥) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ــ ٣٢٧هـ)، ط ٢(١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص (٣٠)

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي (٣٩٢ ــ ٤٦٣هـ)، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض (١٤٠٣ه ــ ١٩٨٣م)، (٣٢٣/١)، والمتصدرون في سن العشرين فما دون، د. علي العمران، (ص٢٥)

وبناء على ما سبق فإن الضابط الأساس للتصدر الدعوي هو الأهلية، وتقتضي أن يكون الداعية **عالما بما يدعو إليه، ضابطا لما يرويه**، وهذا غالب في الكبار دون الصغار، لأن الكبير قضى عمره في طلب العلم ومزاولة الدعوة على مر الليالي والأيام، وعامل الزمن مؤثر في صفاء علم المرء وعمق تجربته وامتلاك ناصية النضج والحكمة، قال ابن قتيبة رحمه الله تعليقا على أثر ابن مسعود رحمه الله: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وأمنائهم وعلمائهم": " لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، فمع السن الوقار والجلالة والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك"[(١)].

وبالنظر إلى هذه المعطيات يوجه كلام من اشترط التصدر بعد الأربعين، بأن هذا في العام الأغلب، لكن يستثنى منه الصغير الذي توفرت فيه خاصية الضبط للعلم والبراعة فيه مع الاحتياج إليه فإنه يحق له التصدر كما مر في تقريرات أهل العلم.

هذا من حيث معنى الأهلية في أصلها، وبيان ماهيتها لمن أراد التصدر في ميدان الدعوة، وحتى يكتمل عقد الأهلية للمتصدر في الميدان الدعوي لابد أن ينتظم في ثلاث: العلم والحكمة والخلق الحسن، فهي أركان الأهلية، وبفقدانها جميعا أو بعضها تنعدم الأهلية أو تضعف، ودونك بيان ذلك:

أولا: العلم، والمراد به هنا أن يكون الداعية المتصدر عالما بأصول الشريعة وكليات الإسلام من جهة، وأن يكون عالما بمجاله الدعوي وما يقتضيه من معارف ومهارات من جهة أخرى، تفريعا على ما مر من اشتراط ضبط الراوي لما يرويه.

قال ابن القيم رحمه الله: (وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وجلها وفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به واليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي)[(٢)]

فلا يكفي في المتصدر للدعوة أن يكون صالحا محبا للخير إذا لم يكن عارفا عالما بما يدعو إليه، فإن هذا قد يضر الدعوة ولا ينفعها، ولذلك جرت عادة السلف ألا يقبلوا من المتصدرين غير المؤهلين، قال الإمام مالك رحمه الله: " إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم..."، قال مطرف بن عبد الله: إني أشهد مالكاً يقول: «أدركت ببلدنا هذا –

(١) نصيحة أهل الحديث، للخطيب البغدادي، ط١(١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م)، مكتبة المنار، الأردن، ص (٣٠)
(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٤٣٤/١)

يعني المدينة – مشيخة، لهم فضل وصلاح وعبادة، يحدثون، فما كتبت عن أحد منهم حديثاً قط. قلت: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لأنهم لم يكونوا يعرفون ما يحدثون."[1]

ومن هنا كان لزاما على من تصدر للدعوة أن يتزود من العلم الشرعي، وأن يكون عارفا متقنا لما يلزمه في كل مجال بحسبه، لأن الدعوة رحبة ممتدة لتعم ميادين شتى، فالتعليم له مقوماته، والخطابة لها أساليبها، والفتوى لها ضوابطها وخصوصيتها، والإغاثة والإصلاح بين الناس له متطلباته وأسراره، ونحو ذلك من ميادين الدعوة ومجالاتها التي تحتم على المتصدر أن يكون مؤهلا في تخصصه الدعوي الذي انقطع له وبرز فيه، وبذلك يكون الداعية ممتثلا للمنهج الرباني في الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

وقرر ابن عثيمين معنى البصيرة في الدعوة وأنها تشتمل على ثلاثة أمور:

١_ **البصيرة في العلم الشرعي** بأن يكون الداعية عارفا بما يدعو إليه، فلا يدعو الناس بشيء يظنه واجبا وهو ليس بواجب، فيكون ألزم الناس بما لم يلزمهم الله به، أو يدعو إلى ترك فعل يظنه محرما، وهو في دين الله مباح، فيكون قد حرم على الناس ما أباحه الله لهم.

٢_ **البصيرة بحال المدعو**، واستشهد بحديث معاذ حينما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن فقال له: " إنك تأتي قوما أهل كتاب "[2]

٣_ **البصيرة في كيفية الدعوة.**[3]

والمقصود بكيفية الدعوة النظر في علم الدعوة وما تشتمل عليه من أصول ومقاصد ووسائل وأساليب وتطبيقات ونوازل، ليكون على دراية بذلك من الجانب النظري والعملي من خلال ملازمة العلماء الدعاة المخلصين والإفادة منهم واستشارتهم.

كما أن من لوازم المعرفة التي يصطبغ بها المتصدر للدعوة الإحاطة المجملة بمعرفة المنطلقات والدوافع والغايات التي ينطلق منها المخالفون ومن ثم معالجة كل شيء بما يلائمه قال ابن تيمية: (معرفة المرض يعين على مداواته وعلاجه ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم)[4].

ولابد من التنبيه هنا إلى أن المقصود بالعلم في ضابط الأهلية هو المعرفة التي تمكن الداعية من الحديث في موضوعه بلا جهل أو مبالغة، فلا يشترط فيه التمكن من العلم أو الرسوخ فيه، بخلاف التصدر لتعليم العلم الشرعي فلابد فيه من الإحاطة بأصول

(١) موطأ الإمام مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، (٢٥/١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (٥/ ١٦٢ ــ١٦٣) رقمه (٤٣٤٢)، من حديث ابن عباس.

(٣) ينظر: زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١ه)، ط١(١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م)، دار الثقة، مكة، ص (١٢)

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري، لأحمد ابن تيمية (ت٧٢٨ه)، تح: عبد الله بن دجين السهلي، ط١ (١٤٢٦ه)، دار المنهاج، الرياض، (١٨٢/١)

ذلك العلم قبل تعليمه، وهذا منوط بالعلماء أكثر من غيرهم، والعالم بالفن له أمارات وشروط يبين عنها الشاطبي رحمه الله بقوله: "... أن يكون عارفا بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم، قادرا على التعبير عن مقصوده فيه، عارفا بما يلزم عنه، قائم على دفع الشبه الواردة عليه فيه، فإذا نظرنا إلى ما اشترطوه، وعرضنا أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية؛ وجدناهم قد اتصفوا بها على الكمال".(١)

وخلاصة القول أن العلم نور يبين الطريق ويجلي الظلام، ينطلق منه الداعية قبل التصدر، ويستصحبه حينه، وبعده، وعلى كل حال، فهو المنهل العذب لدعوته والزاد الضروري لبصيرته، لا ينقطع الداعية عنه مشتغلا بواجبات التصدر، فلا يغره بريق التميز وأصداء العطاء عن التزود من العلم، وهذا ما يقع لكثير من المتصدرين الذين ينشغلون عن الاستزادة ومراجعة العلم والعلماء فينضب معينهم وتضعف عارضتهم، وربما خرجوا عن المسار الصحيح ثقة بآرائهم، وفي هذا السياق يقول ابن الجوزي رحمه الله: " أفضل الأشياء التزيد من العلم فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيا استبد برأيه "(٢).

ثانيا: الحكمة، وهي امتداد للعلم وأثر من آثاره، تمكن الداعية المتصدر من وضع الشيء في موضعه، ليميز خير الخيرين وشر الشرين، وتلوح له المقاصد الشرعية على الدوام، مما يجعله فقيها بالمصالح وسبل تكميلها، مجتهدا في درء المفاسد وتقليلها، فالحكمة مكملة للعلم في أهلية المتصدر، والعلم وحده لا يكفي، فربما تحدث الداعية بحديث لا يستوعبه المدعوون، أو ساق بعض الخلافات الدقيقة في باب من العلم دون أن يحررها أو يحل إشكالها فيحدث بذلك بلبلة وتشويشا في ذهن المتلقي، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)(٣).

لذلك فإن وفرة العلم مالم تكن مصبوغة بالحكمة قد تضر، للتلازم الشديد بين العلم والحكمة، قال ابن مفلح: (وكان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله كان قَمناً أن يضره علمه)(٤).

وهذا رأي سديد، لأن المعرفة مالم تؤخذ بمنخل الانتخاب والتمييز ربما حيرت صاحبها وأودت به في أودية لا منتهى لآخرها، كما أنه ليس من العقل أن يحدث المرء

(١) الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، دار ابن نافع، (١/ ١٤٠)

(٢) صيد الخاطر، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط ١(١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م)، دار القلم، دمشق، ص (١٢٧)

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ص (٥٣٩/١)

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، (٢١١/٢)، وينظر: زغل الدعوة والدعاة، أبو عمار محمد بن عبد الله با موسى، دار الحديث ومركز السلام العلمي، اليمن، ص (١٩).

بكل ما يسمع ويعرف مالم تكن المصلحة والحاجة تدعوه إلى ذلك، فعلى سبيل المثال ما مصلحة المسلم الجديد أن يسمع الخلافات المذهبية؟، أو أن تساق له الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام ليحذر منها و لما يدخل الإيمان في قلبه؟، والحكمة هنا تقتضي أن تعرض عليه نصوص الإيمان التي تعرفه بربه إعظاما وتبجيلا، وبرسوله حبا وتوقيرا، ثم الترغيب بما يجب عليه من أصول الإيمان وأركان الإسلام حتى يخالط الإيمان بشاشة قلبه، فينقاد بعد ذلك لما سواها من أحكام الشريعة والغور في تفصيلاتها والخلافات حولها.

لذلك من تصدر للدعوة فإنه يتحمل مسؤولية كبرى في عرض الرسالة الدعوية، ومهمته تبدأ بالانتخاب والاصطفاء من الكم المعرفي الهائل الذي اختلط فيه الحق بالباطل والصحيح بالسقيم، ثم استنباط الغاية والهدف مما اصطفاه، ثم يختار من قوالب الأساليب والوسائل ليصب فيها الرحيق المعرفي، مستصحبا المصلحة المرسلة في الزمن والمكان والأسلوب.

وكل ذلك يضبطه الأسلوب الحكيم إذا توفر في شخصية الداعية، وقد جعل الله الحكمة الأسلوب الأول والأمثل في عرض الدعوة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] قال السعدي رحمه الله: " أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده "(١)

ومن الحكمة مراعاة التدرج وأحوال الناس وعاداتهم كما هو الحال في تشريع بعض الأحكام على مراحل كتحريم الخمر مثلا، وكما أقر الإسلام بعض الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة التي تحلى بها العرب، قال صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "(٢)، وهذا من حكمة الشريعة التي تسري في شخصية الداعية فتنتج حكمة وسعة وشمولية في مواقفه واختياراته ومراعاته لأحوال الناس وطبائعهم، وحينئذ يصل إلى نفوسهم مما يضمن وضوح الرسالة الدعوية ووصولها إلى المدعوين، وتبقى بعد ذلك هداية التوفيق والإلهام مردها إلى الرب الكريم سبحانه.

ثالثا: الخلق الحسن، وهذا ثوب الدعوة التي يزينها، وبفقدانه يذهب بريق الدعوة والداعية، لذلك زكى الله نبيه صلى الله عليه وسلم حين وصفه بالخلق العظيم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم:٤].

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (١٤/٤٥٢)

(٢) السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، (١٠/ ٣٢٣)، رقمه (٢٠٧٨٢).

ولئن كان الخلق الحسن مما يتجمل به المرء في حياته، ويكون سببا في محبة الناس واحتوائهم، فإن الأليق بالداعية أن يكون كذلك حتى يتقبل الناس الدعوة ويميلون إليها، فالعناوين جاذبة لقراءة المضامين، ولا يليق بالشريعة السمحة إلا الإعلام الجاذب، ولن تجد جاذبا آسرا ترتاح له النفوس كالأخلاق الحسنة.

من أجل ذلك حري بمن تصدر للدعوة أن يستصحب الخلق الحسن في دعوته، وأن يرتاضها ما استطاع، وأن يتخلق ولو لم يكن مطبوعا على بعض الخصال الحميدة، حتى تعتاد نفسه الكمالات وتألفها، بدءا من النظرة للمدعوين بعين الشفقة والرحمة، وأن المخالف أشبه حالا بالغريق يتلمس الداعية نجدته وإنقاذه، مستصحبا لين الجانب والقول الحسن وبشاشة الوجه وحب الخير للناس وغيرها من الأخلاق الفاضلة.

ومن أهم الأخلاق التي تكمل شخصية الداعية الرفق والصبر، وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بضرورة ذلك مقرونة بالعلم، فيقول في سياق الحديث عن صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: " فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده،"(١).

وهذا النص من ابن تيمية ينبئ عن دقة العلم وعمق التجربة، فقد سلط الضوء على ما يضمن نجاح الدعوة في الوصول وثبات أصحابها، فإن العلم يحقق الثقة في الدعوة ويجنبها الشطط والانحراف، والرفق يقرب ويحبب المدعوين من الدعوة والداعية، والصبر يحجز الداعية عن اليأس حين الصدود والإعراض، ويثبته عند الابتلاء والإيذاء، ويضفي عليه سكينة تنساب في خطابه ومواقفه فلا يقع في حدة الاندفاع واستعجال الثمرة التي تنحرف بالداعية عن مساره إلى مزالق الغلو والتشدد أو اليأس والتذمر والانكفاء.

وعليه فإن مما يكمل أهلية الداعية المتصدر أن يتحلى بالأخلاق الحسنة، ولا سيما مع إخوانه الدعاة الذين يشاطرونه هم الدعوة وهداية الناس، فكم انحسرت الدعوة وتفاقمت مشكلاتها بسبب أهلها وما يكون بينهم من التناحر والتحاسد والاختلاف، ولو أن المتصدرين للدعوة تخلقوا بأخلاق الدعوة الإسلامية، وتعاملوا مع خلافاتهم وحواراتهم وفق مبدأ التناصح لا التفاضح، والتكامل لا التفاضل، لحققت الدعوة أضعاف ما وصلت إليه، ولما وجد المغرضون سبيلا لتمزيق الصف وتشتيت الوحدة بين المسلمين، وما كان ذلك ليكون عند تضافر الجهود وفشو النصح والمحبة بينهم، والتماس الأعذار عند الأخطاء، وحسن الظن بالمحتملات عند تيقن سلامة المنهج، وما إلى ذلك من أمارات

(١) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن تيمية الحنبلي الدمشقي(ت٧٢٨م)، ط١ (١٤١٨م)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ص (١٩).

الكمالات وأخلاقيات الكبار التي يعززها النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله: " أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم"(١).

وعليه فإنه ليس من المنهج النبوي تصيد زلات الدعاة المتصدرين والتشهير بهم، لاسيما إن كانوا على سلامة في المعتقد وطريقة سوية سنية في العمل والسلوك، فإن المسارعة في ذلك بلا موجب شرعي واحتياط حكيم يعد من التعيير لا التغيير، ومن الفضيحة التي تزيت بلباس النصيحة، وهذا مما يقدح في المنهج القويم القائم على الحكمة والخلق الحسن في إسداء التوجيه لمن يستحقه، ولم يكن من هدي السلف الصالح في بذل النصيحة لإخوانهم، قال ابن رجب رحمه الله: " وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرا حتى قال بعضهم: " من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه"، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: " المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير"، وقال عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله: " كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئا يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره"(٢).

وتأمل هذا الكمال والأدب الرفيع في مناصحة الأخ لأخيه وما يحفه من الاحتياط والمراعاة وجميل الاحتواء، فكيف بالداعية المتصدر الذي يفني حياته في الدعوة إلى الله وله جهود مباركة وقدم صدق في الدعوة، وله أتباع ينتفعون بدعوته، لاشك أن التجمل في النصيحة معه أولى وأوجب، حتى يتقبلها الداعية بقبول حسن، وإلا فإن النصيحة الفجة قد تعود بالأثر السلبي على الدعوة والدعاة مما يزيد الهوة بين الدعاة وتحقيق رسالتهم السامية، يقول المعلمي رحمه الله: "وكم من عالم أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزاوروه ويذاكروه فيها، أو يكاتبوه فيها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يشنع فيها على ذلك العالم و يجهله، أو يبدعه أو يكفره، فتكون النتيجة عكس المطلوب"(٣).

وصدق المعلمي رحمه الله فإن المتأمل في أحداث التاريخ وما يجري في الواقع المعاصر يدرك بما لا يدع مجالا للشك أن الخلاف شر، وما دب في أمة مجتمعة إلا شتتها وفرقها وأضعف مسيرتها، وكثير من أسباب الخلافات يقع بسبب فقدان البصيرة والحكمة والرفق في بذل المعروف أو إنكار المنكر، وبخاصة إذا ظهرت الخلافات بين الدعاة أمام العامة، يقول ابن عثيمين رحمه الله: " اجتماع الناس على كلمة واحدة لا شك

(١) أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، (٤٢٨/٦)، رقمه (٤٣٧٥)، حكم الألباني: حديث صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم، للفقيه زين الدين عبد الرحمن بن شهاب البغدادي الشهير بابن رجب(ت٧٩٥م)، تح: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٨ (١٤١٩ه ــ ١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١.

(٣) صفة الارتباط بين العلماء في القديم للمعلمي، سامي بن محمد بن جاد الله، ص (١٠).

أنه سبب للنصر، ولهذا ينبغي لطلبة العلم والعلماء أن لا يظهروا خلافهم ونزاعهم أمام العامة، اختلاف الآراء لابد أن يكون، أما كون كل واحد منهم يعيب على الآخر إن خالفه، هذا خطر عظيم جدا، لأن العامة ترى هذا النزاع فلا تثق بواحد منهم، على أن العامة أيضا سوف يتفرقون، فالنزاع لا شك أنه سبب للخذلان والفشل وتمزق الأمة".

وخلاصة ما سبق تبين أن تحلي الدعاة المتصدرين بالخلق الحسن يكسب الدعوة جمالا وقبولا، ويحصنها من ثغرات الخلافات والنزاعات، فتقوى الشوكة ويلتحم الأتباع صفا واحدا خلف الدعوة ومكتسباتها، وبالتخلي عن الأخلاق يسود الخلاف ويعظم الشقاق، ويضعف أثر الدعوة والدعاة في أنفسهم وأتباعهم، والله المستعان.

المطلب الثاني: التوازن بين الخمول والتصدر بحسب المصلحة الدعوية

إن المقصد الأكبر من بروز الداعية في الميدان الدعوي هو تبليغ دين الله وإعلاء كلمة الله في الوجود، إذ إن مهمة الداعية تكون بالمشاركة في تحقيق الغاية النبيلة وإن لم يبلغ الهدف، وأن يفرح المصلح ببدو الثمرة ولو لم يتشرف بغرسها، ومتى فقه الداعية هذا المعنى الدقيق فإنه لا يكترث أن كتب الله القبول على يد غيره، وما ضره لو أن الناس رفضوه واستجابوا لغيره، بل يفرح للأثر الطيب من انتشار دين الله ولا يهمه من كان سببا في ذلك، لأن الداعية المؤمن البصير مقاصدي بطبعه، عينه على الغايات الكبرى، ولا يلتفت لبنيات الطريق من حظوظ النفس وأهوائها والسعي وراء الأمجاد الشخصية.

ومن هنا فقه السلف رحمهم الله هذا المسلك المحمود، وقد ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله كلمات عدة تجلي هذا المعنى، منها قوله: " ما ناظرت أحدا قط على الغلبة؛ وبودي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب – يعني كتبه – ولا ينسب إلى شيء منه "[1]. وقال عنه ابن كثير رحمه الله: " وكان من أحسن الناس قصدا وإخلاصا، كان يقول: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولا ينسب إلي شيء منه أبدا، فأؤجر عليه ولا يحمدوني"[2].

ومن تأمل في هذه الكلمات النورانية يجد أن الشافعي رحمه الله سبر أغوار الشريعة وأحاط بتفصيلاتها حتى استطاع أن ينظمها في جوهرة آسرة ثمينة تلمحها وضاءة بين ثنايا تلك الكلمات، فهو يوازن بين التصدر للدعوة وضرورة البروز فيها لكونه وسيلة لإيصال الدعوة ولا تتم إلا بذلك، وفي ذات الوقت يراعي ويغالب هوى النفس وحب المحمدة ورئاء الناس التي تعرض بالضرورة لمن تصدر في الميدان الدعوي.

(١) مناقب الشافعي، البيهقي، (١/١٧٣)

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، (١٤/١٣٧).

لذلك كان على الداعية أن يصطحب هذا التوازن في مسيرته الدعوية، فلا يتصدر لأجل التصدر، ولا يحركه شيء سوى المصلحة الدعوية، بأن يتصدر عند الحاجة، وقد تكون الحاجة لمثله دائمة كأن يكون عالما بالفن الذي انقطع إليه، أو مفتيا للبلدة، أو إماما للجامع، ونحو ذلك من الوظائف الدعوية التي التزم بها أصحابها.

ومن آثار هذا التوازن بين التصدر والخمول أن يحيل إلى الأعلم في نفس المكان الذي هو فيه، وأن يفرح إذا تصدى للمهمة الدعوية من هو أكفأ منه، وفي هذا السياق يقول يحيى بن جعفر (لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم)[1]. والإمام البخاري رحمه الله روى في صحيحه كثيرا عن شيخه محمد بن يحيى الذهلي على الرغم من طعنه فيه[2].

فأي صفاء فوق هذا، أن يروي عمن أساء إليه، ذلك أنهم قصدوا السبيل الموصل إلى رضوان الله، ولم يدعوا مجالا للشيطان أن يحرفهم عن الطريق، وتلك لعمر الله أمارة التجرد وحسن القصد، ألحقنا الله بالصالحين.

المطلب الثالث: معاهدة النفس وتزكيتها

إن التصدر الدعوي مدعاة للظهور والتميز، ومجلبة للمحمدة والثناء من الناس، لأن النفس البشرية السوية مجبولة على شكر من أسدى إليها معروفا، وأي معروف أجل من دلالة العبد وتعريفه بربه ومولاه، فهي وظيفة الداعية المتصدر الذي يتعدى معروفه ليشمل جمعا عريضا من المدعوين.

ومادام الأمر كذلك فإن احتمال القبول والتأثير وارد على المدعوين مما يجعل الداعية في بحبوحة الثناء والحفاوة والتكريم والحب الذي ربما وصل إلى الغلو في الداعية والتعصب له، ولا شك أن كل ذلك مؤثر في النفس البشرية التي تتسم بالتأثر والتأثير، فربما انحرفت عن مسار الدعوة الخالصة إلى تطلب تلك الشهوات القلبية الخفية من العجب والغرور وتتبع المحامد والرفعة وحسن الصيت وغير ذلك من محبطات العمل التي تعترض المتصدرين.

وعليه فإن السياج الشرعي الآمن الذي يحوط مسيرة الداعية ويصونها من الانحراف هو معاهدة النفس والحرص على تزكيتها ومراقبة النية قبل الدعوة وأثناءها وبعدها، بأن يستشعر على الدوام غايته الدعوية القائمة على تعظيم الله عز وجل، وبث ذلك في نفوس المدعوين فلا مطمع فيما سواها من حظوظ الدنيا وملذاتها، مهتديا في ذلك

(١) تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تح: بشار عواد معروف، ط١(١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (٢/ ٣٤٠)

(٢) ينظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (١٣٠/٢).

بقافلة النور المتصدرين الأوائل وهم الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، فإن الكلمة الجوهرية التي تواردوا عليها في طريق الدعوة هي قولهم كما حكى الله عنهم في القرآن في غير ما آية قال تعالى: " ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]

قال السعدي رحمه الله: "(وهذا كما قال الأنبياء لأممهم) يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله {أي: ليسوا يدعون الخلق طمعا فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون نصحا لهم، وتحصيلا لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال"(١)

ويظهر هذا التجرد جليا في حال النبي الكريم الذي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد قال صلى الله عليه وسلم: " ويأتي النبي وليس معه أحد "(٢) فلم يكن الإعراض وعدم الاستجابة مثبطا له عن دعوته، ولم تنزل رتبته عن مقام النبوة لعدم الأتباع، مما يدل على أن التجرد من هوى النفس أخص سمات الداعية المتصدر، وضابط من ضوابط أهليته، ويكون بالاستقامة على مراد الله في إيصال الرسالة الدعوية دون النظر إلى المكتسبات والثمرات، فإن تفضل الكريم سبحانه بحصول القبول من الناس وظهور الثمرة فذلك من عاجل بشرى المؤمن، ولا شك أنه يشرح الصدر ويذكي الهمة للمزيد، وإن لم يرد الله ذلك فلحكمة يعلمها سبحانه، له الأمر من قبل ومن بعد، يخلق ما يشاء ويختار، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، ويكفي الداعية شرفا وفضلا عبوديته لربه في نفسه، والسعي في إصلاح غيره، ليجد أنسا في دعوته وحلاوة في قلبه وبركة في حياته، مع ما يدخر الله له من الثواب يوم القيامة جزاء دعوته، وصبره على إعراض الناس عنه.

وما سبق من حال الأنبياء في تزكية النفس هو مقصد للسائرين والمتصدرين في رحاب الدعوة إلى الله، ولذلك أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باقتفاء طريقتهم والسير على منهاجهم، قال تعالى بعد أن ساق سير الأنبياء: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]

ومن هنا يتبين أن الإخلال بضابط التزكية يوقع الداعية المتصدر في محاذير أبرزها:

١_ **العجب والغرور**، وهذه قاصمة الظهر للمؤمن وهي الجهد الضائع، حين يغتر الداعية بدعوته وتأثيره، وما حباه الله من طاعة أو قدرة أو ملكة فيفاخر بها على غيره

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (٣٦٩/١١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (١٩٩/١)، رقمه (٢٢٠)

ممن لا يملكها، أو ينتقص ممن لم يبلغ شأوه في معرفته، ونحو ذلك من أمارات العجب التي تضعف بركة الدعوة حتى تصل بها إلى أن تحبط العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:٢٥]

وعليه فإن العجب يؤز الداعية إلى التصدر لأجل التصدر، فيبحث عن الترفع والتقدم في المجالس والمجامع، وتنحسر الغاية الدعوية في قلبه شيئا فشيئا بفعل هذا الداء الخفي، يقول ابن كثير رحمه الله: " وأما العجب والكبر والفخر: فهو الداء العضال، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام، وإلى غيره بعين الاحتقار والذل، ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا كما قال إبليس اللعين ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها)[١]

٢_ **الحسد عند المنافسة أو الغضب عند الاستغناء،** وهذا أثر بدهي نتيجة إهمال تزكية النفس، وعدم أطرها على الإخلاص أطرا، فقد يحصل للدعاة إذا تمكنوا من الميدان ثم برز دعاة آخرون يؤازرون ويشاركون، حينئذ يتسلل الغرور ليغري بهم ويزين لهم وساوس الشيطان التي تصير الدعاة الجدد أعداء، وأنهم سيكونون سببا في تحييدهم وتأطير نفوذهم، كما قد يغضبون إن احتيج إلى غيرهم، أو لم تبرز أسماؤهم، أو امتد تأثير من سواهم، وكل ذلك من الآفات التي تعرض للنفوس، وقد نبه عليها الغزالي رحمه الله بقوله: " وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل" [٢].

٣_ **الاشتغال بالوسيلة عن الغاية، والانشغال بالطريق عن المقصود،** لأن الداعية حين يتصدر في أي ميدان دعوي لابد من إحكام ذلك الجانب الدعوي الذي تصدى له، فيبدأ وغايته هداية الناس واستصلاحهم، ثم ما يلبث أن تنحرف النية _عند البعض_ عن مسارها بسبب طول الرحلة الدعوية مع الغفلة عن النية وتقلباتها، وحينئذ يبدأ بالتعلق بما ألفته النفس من علم أو أسلوب أو مدعوين، ويتعصب لذلك دون الالتفات إلى المقصد الأعظم وهو رضا الله وتقديم محابه على حظوظ النفس وأهوائها، ويرصد ابن الجوزي هذا الأثر فيقول رحمه الله: " (رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم، فهم الفقيه التدريس، وهم الواعظ الوعظ، فهذا يراعي درسه؛ فيفرح بكثرة من يسمعه، ويقدح في كلام من يخالفه، ويمضي زمانه في التفكر في المناقضات، ليقهر من يجادله، وعينه إلى

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ص (٦٠)

(٢) إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥ه) دار المعرفة ــ بيروت (١٤٠٢ه ــ ١٩٨٢)، (٣/ ١٦٩)

التصدر والارتفاع في المجالس، وربما كانت همته جمع الحطام ومخالطة السلاطين!.)[1].

المطلب الرابع: الحاجة إلى تصدر الداعية، أو التصدر لمن لا تقوم الدعوة إلا به، كأن يكون الداعية الأعلم في مكانه، أو باشر منكرا لا يعلمه سواه، فيجب عليه والحالة هذه أن يتصدر مشهد الدعوة والقيام بواجب الأمر المعروف والنهي عن المنكر حتى وإن قلت بضاعته في العلم أو لم يكن مؤهلا تأهيلا كافيا، فالتنبيه على الخير ابتداء مرحلة أولية وخطوة ضرورية تسبق التعمق في الخير والتفصيل فيه، كما أن التكليف منوط بالاستطاعة، قال الله تعالى: " فاتقوا الله ما استطعتم "، قال أبو بكر الخطيب رحمه الله: " فإن احتيج إليه في رواية الحديث قبل أن تعلو سنه، فيجب عليه أن يحدث ولا يمتنع، لأن نشر العلم عند الحاجة إليه لازم، والممتنع من ذلك عاص آثم "[2]

وبناء على هذه المقدمات فإنه يحق للداعية أن يتصدر متى احتيج إليه ولو لم يبلغ مرحلة التمكن والتحقيق، ولو لم تكتمل أدواته الدعوية، بل قد يجب التصدر في حقه إذا لم يقم بهذه المهمة أحد سواه، إلا أن الحاجة لتصدره لا تعني أن يتكلم بغير علم أو يتوسع بلا حاجة، إنما يجب عليه أن يتصدر مراعيا حدود هذا التصدر المرتبط بالحاجة لا يتعداها، مستصحبا التدابير التالية:

١ــ سؤال أهل العلم والخبرة بميدانه الدعوي والصلة المستمرة بهم، والإفادة منهم، فالدعوة قائمة على أصل الاتباع لا الابتداع.

٢_أن يراعي الضرورة والحاجة التي اضطرته للتصدر، فلا يتصدر إلا بقدر الحاجة، لعدم اكتمال الأهلية.

٣_ أن يتزود من العلم الشرعي، وينمي قدراته فيما تصدر فيه، فربما قاده التصدر بالاضطرار إلى التمكن فيه باقتدار، وذلك بعد طول الممارسة والمعالجة للميدان الذي تصدر فيه.

٤_ ألا يتكلف ما لا يحسن، وأن يتورع عن الخوض فيما يجهل.

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص (٤٢٨)

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، (٣٢٣/١)

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث أوجز أبرز نتائجه مع بعض التوصيات.

أولًا: نتائج البحث:

١. التصدّر الدعوي يُمكّن الداعية من مجاله الدعوي، ويُسهِّل مهمة الإفادة من الداعية المتخصص في مجاله، حيث إن البروز يسهم في تذليل الصعاب على المدعو والدعوة.

٢. التصدّر الدعوي يساعد في إيصال الرسالة الدعوية بسلاسة وسهولة، يتمكن من خلاله الدعاة في تقديم بعضهم على بعض في الحاجات أو النوازل الدعوية بحسب التخصص، كما أنه يسهل على المدعو الوصول إلى الداعية المتخصص ليسهم في حل مشكلته أو ليتزود من معرفته.

٣. من أبرز إشكاليات التصدّر الدعوي؛ تضخيم أدبيات الورع وهضم النفس، والخروج بها عن سياقتها، حيث تتسرب المفاهيم المغلوطة إلى أذهان الناس بسبب معلومات غير ناضجة، أو معارف لم تقرأ قراءة صحيحة، تفهم في غير سياقاتها التي قيلت فيها

٤. التصدّر غير المنضبط والتحدث في كل نازلة مدعاة للوقوع في الأخطاء ولابد، فالعلوم أوسع من أن يحاط بها جملة، والقضايا لها تفاصيل وملابسات تستدعي التفطن والتأني قبل الحديث عنها.

٥. الأهلية ضابط مهم للتصدّر الدعوي، وحتى يكتمل عقد الأهلية للمتصدر في الميدان الدعوي لابد أن ينتظم في ثلاث: العلم والحكمة والخلق الحسن، فهي أركان الأهلية، وبفقدانها جميعا أو بعضها تنعدم الأهلية أو تضعف.

٦. على الداعية التوازن بين الخمول والتصدّر بحسب المصلحة الدعوية في مسيرته الدعوية، فلا يتصدر لأجل التصدّر، ولا يحركه أي شيء سوى المصلحة الدعوية، بأن يتصدر عند الحاجة، وقد تكون الحاجة لمثله دائمة.

٧. التصدّر الدعوي يستلزم من صاحبه معاهدة النفس والحرص على تزكيتها، ذلك أن الإخلال بضابط التزكية يوقع الداعية المتصدر في محاذير نفسية وأخلاقية عديدة.

٨. ليس من المنهج النبوي تصيد زلات الدعاة المتصدرين والتشهير بهم، لاسيما إن كانوا على سلامة في المعتقد وطريقة سوية سنية في العمل والسلوك، فإن المسارعة في ذلك بلا موجب شرعي واحتياط حكيم يعد من التعيير لا التغيير، ومن الفضيحة التي تزيت بلباس النصيحة، وهذا مما يقدح في المنهج القويم القائم على الحكمة والخلق الحسن في إسداء التوجيه لمن يستحقه.

ثانيًا: التوصيات:

١. يوصي الباحث الدعاة بعدم التفريط بالتصدّر الدعوي لمن وجد في نفسه الأهلية لذلك، والقدرة على الالتزام بضوابطه والابتعاد عن محاذيره وتحقيق أهدافه.

٢. يوصي الباحث الجهات والمؤسسات الدعوية الرسمية وغير الرسمية بعقد دورات تأهيلية للتصدر الدعوي وحلقات نقاشية حول واقع التصدّر الدعوي المعاصر.

٣. يوصي الباحث بتشجيع التصدّر المتخصص؛ إذ هو الأشدّ حاجةً والأكثر طلبًا في الأوساط الدعوية والمجتمعية المعاصرة.

هذا ما يسر المولى الكريم كتابته، أسأل الله أن يجعله خالصا صوابا، وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله لبنة في بناء الدعوة الإسلامية، إنه جواد كريم، والله أعلم وأحكم... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢. إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥ه)، دار المعرفة ــ بيروت (١٤٠٢ه ــ ١٩٨٢)..

٣. آداب الشافعي ومناقبه، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ــــ ٣٢٧ه)، ط٢(١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية، ط (١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية.

٧. أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر ابن عاشور، ط١(١٤٢٧ه ــ ٢٠٠٦م)، دار السلام (القاهرة) مؤسسة دار سحنون، تونس.

٨. البحث العلمي؛ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، محمد شفيق، المكتبة الجامعية- مصر، ٢٠٠١م.

٩. بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (٢٠٠١)، بيروت.

١٠. البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ ــ ٧٧٤ه)، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مركز البحوث، دار هجر.

١١. تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت٤٦٣ه)، تح: بشار عواد معروف، ط١(١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ــــ ٩١١ه)، تح: أبو نظر محمد قتيبة الفاريابي، ط١، مصر (١٤١٤ه)، ط٢ بيروت (١٤١٥ه)، مكتبة الكوثر، الرياض.

١٣. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ــ ١٣٧٦ه)، تح: عبد الرحمن اللويحق، ط١(١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠١م)، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٤. الجامع الصحيح، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (١٩٤ ــ ٢٥٦ه)، دار طوق النجاة.
١٥. جامع العلوم والحكم، للفقيه زين الدين عبد الرحمن بن شهاب البغدادي الشهير بابن رجب(ت٧٩٥ه)، تح: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٨ (١٤١٩ه ــ ١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٦. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر(ت٤٦٣ه)، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي.
١٧. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي (٣٩٢ ــ ٤٦٣ه)، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض (١٤٠٣ه ــ ١٩٨٣م).
١٨. ديوان إبي إسحاق الألبيري، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ – ١٩٨١.
١٩. رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن محمد ابن تيمية الحنبلي الدمشقي(ت٧٢٨ه)، ط١(١٤١٨ه)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية.
٢٠. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة(ت٦٢٠ه) ط٢(١٤٢٣ه ــ ٢٠٠٢م)، مؤسسة الريان.
٢١. زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت١٤٢١ه)، ط١(١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م)، دار الثقة، مكة.
٢٢. زغل الدعوة والدعاة، أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى، دار الحديث ومركز السلام العلمي، اليمن.
٢٣. سنن أبي داوود، أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٣ ــ ٢٧٥ه)، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، ط١(١٤٣٠ه ــ ٢٠٠٩م) دار الرسالة العالمية، دمشق.
٢٤. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ــ ٢٧٩ه)، تح: أحمد محمد شاكر، ط٢(١٣٩٨ه ــ ١٩٧٨م)، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي.
٢٥. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين الخراصاني أبو بكر البيهقي(ت٤٠٨ه)، تح: محمد عبد القادر عطا، ط٣(١٤٢٤ه ــ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. السيرة النبوية، لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٧. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ــ ٢٦١ه)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(١٤١٢ه ــ ١٩٩١م)، دار الكتب، بيروت.
٢٨. صفة الارتباط بين العلماء في القديم، سامي بن محمد بن جاد الله،
٢٩. صفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط (١٤٢١ه ــ ٢٠٠٠م)، دار الحديث، القاهرة.
٣٠. صيد الخاطر، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧ه)، ط١(١٤٢٥ه ــ ٢٠٠٤م)، دار القلم، دمشق.
٣١. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تح: محمد عبد القادر عطا، ط٢(١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢. فتح الباري لشرح صحيح الإمام البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ــ ٨٥٢ه)، المكتبة السلفية.
٣٣. الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف، ط١(١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار ابن الجوزي، السعودية.
٣٤. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي، ط١(١٤٣٢ه ــ ٢٠١١م)، المكتبة العامرية، الكويت.
٣٥. مباحث التفسير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المختار الرازي الحنفي(ت٦٣١ه)، تح: حاتم بن عابد القرشي، ط١(١٤٣٠ه ــ ٢٠٠٩م)، دار الكنوز، اشبيليا(٣٤٣٩ه).
٣٦. المتصدرون في سن العشرين فما دون، د. علي العمران.
٣٧. المتصدرون في سن العشرين فما دون، علي محمد العمران، ط١، دار الحضارة للنشر(٢٠٢١م)
٣٨. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ.
٣٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية(ت٧٥١ه)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (٥٧٨ــ ٦٥٦ه)، تح: محيي الدين ديب وآخرون، ط١(١٤١٧ه ــ ١٩٩٦م)، دار ابن كثير، (دمشق ــ بيروت) ودار الكلم الطيب (دمشق ــ بيروت).

٤١. مقدمة علوم الحديث، للإمام أبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المشهور بابن الصلاح(ت٦٤٣ه)، ط١(١٣٥٠ه ــ ١٩٣١م)، المطبعة العلمية، حلب.
٤٢. مناقب الشافعي، لأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ــ ٤٥٨ه)، تح: أحمد صقر، ط١(١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج١.
٤٣. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي(ت٧٩٠ه)، دار ابن نافع.
٤٤. موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا(ت٢٨١ه)، تح: السعيد بيوني ويسري عبد الغني، ط١(١٤١٣ه ــ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
٤٥. موطأ الإمام مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي.
٤٦. نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، جورج مقدسي، ط١(١٤٣٦ه ــ ٢٠١٥م)، دار الكتب، مصر.
٤٧. نصيحة أهل الحديث، للخطيب البغدادي، ط١(١٤٠٨ه ــ ١٩٨٨م)، مكتبة المنار، الأردن.
٤٨. النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٠٠، (٢٢١/٣).